(تعدد اللفظ والمعنى)

3- ظاهرة التضاد

مفهومه :

وهو(اللفظ المستعمل في معنيين متضادين)، أو (أن يطلق اللفظ على المعنى وضده)، أو(الكلمات التي تؤدي دلالتين متضادين بلفظ واحد)، وبذلك فإنّ كلّ تضادٍ مشترك لفظي وليس العكس.

والتضاد فرع من المشترك اللفظي، أي اللفظ الذي له أكثر من دلالة، غير أنّ اللفظ من الاضداد له معنيين أحدهما نقيض الآخر.

يقول ابن فارس" ومن سَنَنِ العربية في الاسماء أن يسمَوا المتضادين باسم واحد".

مثلًا/ الجَوْن: يطلق على (الأبيض والأسود).

الجَلَلُ: يطلق على(الشيء العظيم/ والشيء الحقير).

الحميم: يطلق على (الماء البارد/ الماء الحار).

السُّدْفة: أي(الظُّلْمة/ الضوء).

الظنّ: أي (الشكّ/اليقين).

البَسْل:(الحرام/الحلال).....ألخ .

وعلى الرغم من وجود ظاهرة استخدام اللفظ الواحد في معنيين متضادين في كلّ اللغات، فإنّ الاهتمام الذي حظيت به هذه الظاهرة من اللغويين المحْدثين كان ضئيلًا.

وفي الحقيقية أنه لا يمكن إغفال حقيقية أن الاضداد في اللغة العربية قليلة ومحدودة، ومع التطور اللغوي أصبحت كثيرًا من الاضداد مَهْجورة لا تُسْعمل، وبدأت بعض الالفاظ التي تعدّ من الاضداد تتخذ وتميل لمعنى واحد، كلفظ (المولى) الذي يطلق على السيّد والخادم،، فاستقرَّ على المعنى الاول وهو السيّد.

وكما اختلف العلماء في ظاهرتي المشترك اللفظي والترادف بين المنكرين والمثبتين، كذلك اختلفوا في ظاهرة التضاد، فأثبتَ بعضهم، وأنكر آخرون، واعتبر بعضهم نوعًا وفرعًا من المشترك اللفظي، وكالآتي:

1- فريق من اللغويين- وهم كُثُر- أقرَّ وجود ظاهرة التضاد وجاء بالحجج والبراهين والاسانيد تثبت ما ذهبوا اليه، ومن هؤلاء: { ابن سيدة، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ابن فارس، وابن الانباري صاحب كتاب(الاضداد)،..}.

2- فريق آخر من اللغويين- وهم قلّة- أنكروا ظاهرة التضاد وأبطلوا وجودها، ولجأوا إلى بعض الأدلة العقيلة لتأييد رأيهم، منها: أن المعنيين المتضادين لا يوضع لهما لفظ واحد، وأنّ وجود الاضداد يعدّ نقصًا في العرب وفي لغتهم.

ومن هؤلاء: ابن دُرُستَويه، الجواليقي، الأرْموي.

إنّ (ابن درستويه) الذي أنكر التضاد، أنكر المشترك اللفظي أيضًا كما ذكرنا سابقا، وقد ألّف في ذلك كتابًا سمَّاه **(إبطال الأضداد)**، وحجته فيما ذهب إليه من إنكار الأضداد أنَّ" اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد الآخر، لما كان في ذلك إبانة، بل كان تعمية وتغطية...)

لكن يرى أكثر أئمة اللغة أنَّ التضادَّ واقع في كلام العرب ونحن نميل إلى هذا الرأي ونرجحه.

ظاهرة التضاد في القرآن الكريم:

في الحقيقة أنّ هذه الظاهرة هي ظاهرة لغوية موجودة في معظم لغات العالم، وقد وقعت في العربية على بعض الكلمات في القرآن الكريم، وإنَّ من أهم الأسباب التي دفعت اللغويين إلى التأليف في الأضداد، هو ورود طائفة منها في القرآن الكريم، فكان الدفاع عن ظاهرة التضاد الدلالي في اللغة العربية دفاع بالضرورة عما ورد منها في القران الكريم، ومن أجل الرد على الطاعنين في لغة القران.

ومن أمثلة التضاد في القران الكريم:

- **لفظ(الظن)**/ إذ يجيء في القران الكريم بمعنى الشك واليقين، فقد جاء بمعنى(اليقين) في مواضع عدة في القران الكريم، منها: قوله سبحانه وتعالى سورة البقرة:﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ البقرة: ٤٥-٤٦، فالله سبحانه مدح الشّاكين في لقاء ربهم؛ لأنّ(يظنّون) في الآية بمعنى(يستيقنون)، وجاء بمعنى(اليقين) أيضًا في سورة الحاقة:﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ الحاقة: ١٩ – ٢٠، إنّي ظننتُ: أي إني أيْقنتُ، ولو كان بمعنى(الشك) لم يكن مؤمنًا، ولم يؤتى كتابه بيمينه.

وقد جاء بمعنى (الشّك) في عدة مواضع في القرآن، منها: قوله سبحانه وتعالى:﴿قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾ الجاثية: ٣٢، نظّن:أي نشكّ، فهؤلاء كفارٌ يشكون في مجيء يوم القيامة، وكذلك قوله تعالى﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ القصص: ٣٩.

- **لفظ(أخفى)**/ بمعنى الاخفاء والاظهار، فقد ورد اللفظ بمعنى الاظهار في قوله تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) أي: أظهرها.
- **لفظ(سجر)**/ يأتي بمعنى المملوء والفارغ معا، بمعنى المملوء في قوله تعالى(وَالْبَحْرِ المَسْجُورِ)، أي: البحر المملوء، وبمعنى الفارغ في نحو قوله تعالى(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) أي: فرغت.
- **لفظ(شرى)**/ يأتي بمعنى البيع والشراء معا، فبمعنى البيع نحو قوله سبحانه وتعالى(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) أي: يبيع نفسه، وكذلك قوله(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَة) أي: باعوه.

ولم تأتِ (شرى) في القرآن الكريم بدلالة(اشترى).

وألفاظ أخرى من الاضداد كـ (الصريم: بمعنى الليل والنهار) و(عسعس: بمعنى أقبل وأدبر)، وهذا دليل على وقوع الاضداد في القران الكريم، لكنها قليلة جدًا.

أسباب وقوع التضاد:

لقد أعادَ الباحثون وجود ظاهرة التضاد إلى أسباب عدة، أهمها:

1- **اختلاف اللهجات العربية:** كلفظ(السُّدْفة) بمعنى(الظُّلْمة) عند قبيلة تميم، ومعنى(الضوء) عند قبيلة قيس، وكذلك(الجَوْن) بمعنى الأبيض عند قبيلة، وبمعنى الأسود عند قبيلة أخرى.

2- **الاقتراض اللغوي:** قد تقترض اللغة العربية كلمات من اللغات الأجنبية: كلفظ(جَلَل) الذي أخذه العرب من اللغة العِبْرية، ولفظ(بَسْل) الذي بمعنى الحرام والحلال، وهو في اللغة العِبْرية بمعنى الحرام .

3- **الأسباب الاجتماعية** كالتفائل والتشاؤم والتهكم والتأدب: كاطلاق لفظ(البصير)على(الأعمى)تأدّبًا، و(السليم) على(الملْدوغ)تفائلًا، واطلاق لفظ(أبي البيضاء) على(الرجل الأسود)تشاؤمًا، ولفظ(عاقل) على(الجاهل) تهكّمًا واستهزاءًا.

4- **دلالة اللفظ في أصله وضعها العرب لمعنيين متضادين:** كلفظ(الزَّوْج) على الذكر والأنثى، نحو قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾القيامة: 39.

وقد ألّف العلماءُ كتبًا كثيرة في هذا المجال، منها:

- ✓ كتاب الأضداد/لابن الانباري.
- ✓ الأضداد/لابن فارس.
- ✓ الاضداد/لابن السكيت.